الإيضاح الشـــامل لمعانى السبـــع المثانى

الدكتورة / رحاب مصطفى محمد مأمون

مدرس الدراسات الإسلامية بقسم اللغة العربية و آدابها

كلية التربية - جامعة الإسكندرية

الملخص

هذه السورة الكريمة كثرت أسماؤها ، ويكثر ترديدها فى يو م المسلم ليلته ، وهى ركن من أركان الصلاة . وهذا البحث الهدف منه توضيح سبب تسميتها بأم القرآن ، وأم الكـتاب ، والقرآن العظيم ، وذلك عن طريق :

١ – تو ضيح العلوم ، والمعانى التى اشتملت عليها وبيان كونها نفس العلوم ، والمعانى التى ذكرت فى كتـاب الله – عز و جل – .

٢ – بيان فضل السورة الكريمة ، وأسمائها ، و ترتيب نزو لها .

٣ – إيضاح لأهم الأحكام الفقهية الخاصة بالسورة دو ن غيرها من سور القرآن الكريم .

٤ – الوقوف على بعض الجو انب البلاغية فى السورة الكريمة خاصة ما يتعلق بالحمد ، وأسماء الله الواردة فى السورة .

٥ – تو ضيح القراءات المتواترة الواردة بالسورة مع توجيه تلك القراءات ، وتو ضيح المعنى المقصود منها . هذا ولم نتعرض للقراءات غير المتواترة حتى لاندخل على السورة الكريمة ما ليس منها .

٦ – ذكر بعض الشبهات الواردة حول السورة ، والرد عليها ردا علميا .

وأرجو من الله – تعالى – قبول هذا العمل، والله ولى التوفيق والقبول.

ترجمة لخلاصة البحث

This generous image is abundant in its names, and is frequently spoken in the Muslim's day and night, a corner of the prayer. This research aims at clarifying the reason for calling it the Mother of the Qur'an, the Mother of the Book, and the Great Qur'an, by:

- **Clarification of science, and the meanings included in it and the statement of being the same science, and the meanings mentioned in the book of God - Ezz and Gel.-**
- **Statement of the virtues of the name, and its names, and arrange the descent.**
- **An explanation of the most important jurisprudential provisions of the Surat other than the Koran.**
- **to stand on some aspects of rhetorical in the Koran, especially regarding the praise, and the names of God contained in the sura.**
- **Clarification of the frequent readings contained in the Surat with the guidance of those readings, and clarify the meaning of them. We have not been subjected to repeated readings even to enter the Koran, which is not.**
- **mentioned some of the suspicions about the sura, and respond to them in a scientific response.**

And I ask God - the Almighty - to accept this work, and God and the success and acceptance.

المقـــدمـــة

بســـــــــم الله الرحمن الرحـــــــــيم

الحمد لله والصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه و سلم ـ وآله و صحبه أجمعين، و بعد:

فهذا البحث يتناول تفســـيرا شاملا لسورة الفاتـــحة يشتمل على أسمـائها وفضائلها و عدد آياتها و كلماتها و حرو فها و القراءات الواردة فيها مع توجيهها و المناسبة بين آياتها ، مع تو ضيح بلاغة ألفاظها وأسباب و ضع الألفاظ فى مواضعها دو ن غيرها من ألفاظ .

هذا و قد قدمت للبحث بتو ضيح أمو ر لازمة لتفسير السورة وهى: حكم القراءة بها فى الصلاة ، و أحكام الاستعاذة والبسملة .

وختمت البحث ببعض الشبهات والردود عليها.

فهذا البحث باختصار يبين لماذا سميت بالسبع المثانى ، والقرآن العظيم وذلك بإيضاح العلوم التى اشتملت عليها السورة مقارنة بالعلوم التى اشتمل عليها القرآن الكريم.

والبحث يتكون من مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة.

المبحث الأول: الأحكام الفقهية

ويتناول خمسة مطالب هى :

المطلب الأول: معنى السورة وأسماؤها وفضائلها، وحكم القـــراءة بها فى الصـــلاة .

المطلب الثانى: أحكام الاستعـــــــــاذة ومعناها.

المطلب الثالث : أحكام البســـــــملـة ومعناها.

المطلب الرابع : نزولهـا ، وعدد كلماتـــــــها .

المطلب الخامس : سبب تسميتها بأم القـــــرآن .

المبحث الثاني: تفسير السورة

ويتناو ل خمسة مطالب هى:

المطلب الأو ل: المعانى التى اشملت عليهـا السورة.

المطلب الثانى: بلاغة ألفاظها وأسباب وضع الألفاظ فى واضعها.

المطلب الثالث: القراءات الواردة فيها وتوجيههـــا.

المطلب الرابع : المنـــــــــاسبة بين آياتـها .

المطلب الخامس : شبهـــــــــــات وردو د .

والله و لي التو فيق.

المبحث الأول: الأحكام الفقهية

المطلب الأول: معنى السورة وأسماؤها وفضائلها.

أولا : معنى السورة :

يدور معنى كلمة " سورة " فى اللغة حول ثلاثة معان هى:

المنزلة من منازل الارتفاع ، والجمع والإحاطة ، والقطعةُ التي قد أفضِلت من القرآن عما سواها (المعنيان الأول والثانى من مادة سور ، والمعنى الثالث من مادة سأر).

قال أبو جعفر : "ثم تسمى كل سورة من سور القرآن " سورة " والسورة، بغير همز : المنزلة من منازل الارتفاع. ومن ذلك سُور المدينة ، سمي بذلك الحائطُ الذي يحويها ، لارتفاعه على ما يحويه، ومن الدلالة على أنّ معنى السورة : المنزلةُ من الارتفاع، قول نابغة بني ذُبيان : **أَلَمْ تَرَ أنَّ الله أعطاكَ سُورَةً ... تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُو نَها يَتَذَبْذَبُ** يعني بذلك : أنّ الله أعطاه منزلة من منازل الشرف التي قصَّرت عنها منازلُ الملوك. وتجمع سُورًا ، على تقدير خُطبة وخُطب ، وغُرفة وغُرَف ." وقد همز بعضهم السورةَ من القرآن، و تأويلُها ، في لغة من هَمَزها ، القطعةُ التي قد أفضِلت من القرآن عما سواها و أبقيت. وذلك أن سؤر كل شيء : البقية منه تَبقى بعدَ الذي يُؤخذ منه ، و لذلك سميت الفضْلة من شراب الرجل – يشرَبُه ثم يُفضلها فيبقيها في الإناء – سُؤْرًا.

ومن ذلك قول أعشى بني ثعلبة ، يصف امرأةً فارقته:

فبَانَتْ ، وقد أَسْأَرتْ في الفُؤادِ ... صَدْعًا ، على نَأيِهَا، مُسْتَطِيرَا[1]

١- جامع البيان في تأو يل القرآن المؤلف : محمد بن جرير الطبري، المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة : الأو لى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م جـ ١ ص ١٠٥

وقال ابن كثير: " ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها[١] .

ثانيا: معنى الآية:

وأما الآية من آي القرآن ، فإنها تحتمل وجهين في كلام العرب : [٢]

أحدهُما : أن تكون سمِّيت آية ، لأنها علامةٌ يُعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها ، كالآية التي تكون دلالةً على الشيء يُستدلُ بها عليه ، كقول الشاعر :

أَلِكْنى إليها ، عَمْرَكَ اللهُ يا فَتى ، ... بآيةِ ما جَاءتْ إلينا تَهَادِيَا

يعني : بعلامة ذلك . ومنه قو له جل ذكرُه : { رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَولِنَا وآخِرِنَا وآيَةً مِنْكَ } [سورة المائدة : ١١٤] أي علامةً منك لإجابتك دعائنا .

والآخر منهما : القصةُ ، كما قال كعب بن زهير بن أبي سُلمى :

ألا أبْلِغا هذا المُعَرِّض آيَةً : ... أَيْقَظانَ قالَ القولَ إذْ قَالَ ، أمْ حَلَم

يعني بقوله "آية" رسالة وخبرا فيكون معنى الآيات : القصص، قصةٌ تتلو قصةً .

ثالثا : أسماء الفاتحة:

قال أبو جعفر : صَحَّ الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثني به يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **هي أمّ القرآن ، وهي فاتحة الكتاب ، وهي السبع**

١- تفسير ابن كثير تفسير ابن كثير الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م الناشر : دار الخير بيرو ت جـ١ ، ص تحقيق : لجنة من الأساتذة المختصين تقديم : الدكتو ر و هبة الزحيلى

٢- جامع البيان في تأو يل القرآن المؤلف : محمد بن جرير الطبري، المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة : الأو لى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م جـ ١ ص ١٠٦

المثاني " [1] فهذا الحديث يذكر برو اياته المختلفة من أسمائها أربعة أسماء هى :

١ – فاتحة الكتـاب:

وسمّيت " فاتحة الكتاب " ، لأنها يُفتتح بكتابتها المصاحف ، و يُقرأ بها في الصلو ات ، فهي فَو اتح لما يتلو ها من سو ر القرآن في الكتابة و القراءة.

– أم القـــــرآن:

وسمّيت " أم القرآن " لتقدمها على سائر سور القرآن ، وتأخُّر ما سواها خلفها في القراءة والكتابـــــــة. وإنما قيل لها ذلك ، لتسمية العرب كل جامـــع أمرًا

أو مقدِّمٍ لأمر إذا كانت له توابعُ تتبعه ، هو لها إمام جامع – " أمًّا " فتقول للجلدة التي تجمع الدُّماغ : " أم الرأس " ، وتسمى لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش " أمًّا " . ومن ذلك قول ذي الرُّمة ، يصف رايةً معقودة على قناة يجتمع تحتها هو و قومه :

وَأَسَمْرَ ، قَوَّامٍ إذَا نَام صُحْبَتِي ، ... خَفِيفِ الثِّيابِ لا تُوَارِي لَهُ أَزْرَا
عَلَى رَأْسِه أمٌّ لنا نَقْتَدِي بِهَا ، ... جِماعُ أمورٍ لا نُعاصِي لَهَا أمْرَا

٣ – السَّبْـــعُ المثانى :

فهى سبعُ آيات ، لا خلاف بين الجميع من القرَّاء والعلماء في ذلك. وإنما اختلفوا في الآي التي صارت بها سبع آيات. فقال عُظْمُ أهل

١- رو اه أحمد في المسند : ٩٧٨٧ (٣ : ٤٤٨ طبعة الحلبي). و البخاري ٨ : ٢٨٩ فتح الباري – كلاهما من طريق ابن أبي ذئب ، بهذا الإسناد. و لفظ أحمد : " قال في أم القرآن : هي أم القرآن ، وهي السبع المثاني ، و هي القرآن العظيم " . و لفظ البخاري : " أم القرآن : هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم " . وذكره ابن كثير في التفسير ١ : ٢١ ، من روايتي المسند والطبري. وذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ٣ ، و نسبه أيضًا للدارمي وأبي داود والترمذي وابن المنذر وغيرهم. تفسير الطبرى جـ ١ ، ص ١٠٧

الكوفـــــة ، وأهل مكة : صارت سبع آيات ب { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ورُوي ذلـك عـن جماعـة مـن أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم والتابعين.

وقال آخرون : هي سبع آيات ، وليس منهن { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ولكن السابعة " أنعمت عليهم " . وذلك قول معظم علماء العد.

يقول الشيخ عبد الفتاح القاضى فى نظمه :

وكوف و مك يعد البسملة سواهما أولى عليهم عد له

ويقول الإمام الشاطبى فى رائيته :

وأم القرآن الكل سبعا يعدها ولكن عليهم أولا يسقط المثر

ويعتاض بسم الله (١)

وأما وصف النبي صلى الله عليه وسلم آياتها السبعَ بأنهن مَثان ، فلأنها تُثْنَى قراءتها في كل صلاة تطوُّع ومكتوبة.

والمعنى في ذلك قصده أبو النجم العجلي بقوله :

الحمدُ لله الذي عَافَانِي ... وكلَّ خَيْر بعدَهُ أَعْطانِي من القرآن و من المثانى

وقول آخر :

نَشَدْتُكم بِمُنزل الفُرقانِ ... أمِّ الكِتَاب السَّبع من مَثَانِي

ثُنِّينَ مِنْ آيٍ من القُرْآنِ ... والسَّبعِ سبعِ الطُّوَل الدَّوانِي

وليس في وجوب اسم " السبع المثاني " لفاتحة الكتاب ، ما يدفع صحة وجوب اسم " المثاني " للقرآن كله.

٤ – القـرآن العظيـم:

للفظ أحمد من الحديث السابق: " قال في أم القرآن : هي أم القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي القرآن العظيم " . ولفظ البخاري : " أم القرآن :

١ – شرح ناظمة الزهر فى علم الفواصل الشيخ عبد الفتاح القاضى ص٨١

هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم " . وذلك لاشتمالها على معانى القرآن الكريم و علومه كلها كما سنبين فى آخر هذا البحث.

٥ – أم الكتـــــاب :

للحديث الذى رواه الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى ." قال حديث حسن صحيح . [١]

وللفاتحـة الكثيـر مـن الأسـماء مثـل: الشفاء ، والرقيـة ، والوافيـة ، والكافيـة ، والحمد ، والصـلاة ، والأساس. [٢] إلا أنهـا غالبـا صـفات وليست أسماء لم يرد بها أحاديث صحيحة تنص على تسميتها بها.

رابعا : فضائلـــــها:

روى فى فضلها الكثير من الأحاديث نذكر منها:

١ – قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا المحاربي ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أبي السائب مولى زُهْرة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قال العبد : " الحمد لله ربّ العالمين " ، قال الله : " حمـــدني عبدي " . وإذا قال : " الرحمن الرحيم " ، قال : " أثنى عليّ عبدي " . وإذا قال : " مالكِ يوم الدين " ، قال : " مجَّدني عبدي. فهذا لي " . وإذا قَال : " إيّاك نَعبُد وإيّاكَ نستعين " إلى أن يختم السورة قال: " ذلك له " [٣]

---

١ – سنن الترمذى ٣١٢٤

٢ – تفسير القرطبى جـ ١من ص ١٧٢ إلى ص ١٧٥

٣– المحاربي : هو عبد الرحمن بن محمد بن زياد ، وهو ثقة ، أخرج له الجماعة .محمد بن إسحاق : هو ابن يسار ، صاحب السيرة ، ثقة معروف ، تكلم فيه بعضهم بغير حجة وبغير وجه . العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة – بضم الحاء وفتح الراء – : تابعي ثقة . أبو السائب مولى زهرة : تابعي ثقة ، قال ابن عبد البر : " أجمعوا على أنه ثقة مقبول النقل ".

٢ – روى الترمذى عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " ما أنزل الله فى التوراة ولا الإنجيل مثل أم القرآن وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل."[١]

خامسا : حكم القراءة بالفاتحة فى الصـــــــــلاة . [٢]

– رأى مالك : قال : " هى متعينة للإمام و المنفرد فى كل ركعة . "

– رأى الشافعى وأحمد بن حنبل : "لا تجزئ أحدا الصلاة حتى يقرأ بفاتحة الكتاب فى كل ركعة إماما كان أو مأموما جهر إمامه أو أسر."

– رأى الطبرى : " يقرأ المصلى بأم القرآن فى كل ركعة فإن لم يقرأ بها لم يجزه إلا مثلها من القرآن عدد آياتها و حروفها."

– رأى أبى حنيفة والثورى والأوزاعى: "إن تركها عامدا فى صلاته كلهـا و قرأ غيرها أجزأه ، على اختلاف عن الأوزاعى فى ذلك ."

ورأى مالك ، والشافعى ، وأحمد أولى ، للحديث : " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب " والحديث : " لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب " أما رأى أبى حنيفة فيعمل به من لم يعرف العربية كأن يكون أسلم حديثا، ورأى الطبرى يصعب.

١ – سنن الترمذى ٣١٢٥

٢ –تفسير القرطبى جـ ١ ص ١٩٠ وما بعدها.

المطلب الثانى: أحكام الاستعـــــاذة ومعناها. [١]

أولا : صيغتها وفيه مسألتان:

(الأولى) أن المختار لجميع القراء من حيث الرواية **(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)** كما ورد في سورة النحل فقد حكى الأستاذ أبو طاهر ابن سوار وأبو العز القلانسي وغيرهما الاتفاق على هذا اللفظ بعينه. وقال الإمام أبو الحسن السخاوي في كتابه "جمال القراء" إن الذي عليه إجماع الأمة هو: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وقال الحافظ أبو عمرو الداني أنه هو المستعمل عند الحذاق دون غيره. وهو المأخوذ به عند عامة الفقهاء كالشافعي، وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم، وقد ورد النص بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيحين من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال:

" استب رجلان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. " [٢]

وقد روى أبو الفضل الخزاعي عن المطوعي عن الفضل بن الحباب عن روح بن عبد المؤمن، قال قرأت على يعقوب الحضرمي فقلت: أعوذ بالسميع العليم. فقال لي قل (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فإني قرأت على سلام بن المنذر فقلت : أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل :(أعوذ بالله

---

١ يرجع إلى كتب : النشر ، وكذلك تقريب النشر **كلاهما** للإمام ابن الجزرى ، والوافى فى شرح الشاطبية للشيخ عبد الفتاح القاضى ، والمهذب فى شرح طيبة النشر للشيخ محمد سالم محيسن.

٢ الحديث لفظ البخاري في باب الحذر من الغضب في كتاب الأدب. ورواه أبو يعلي الموصلي في مسنده عن أبي كعب رضي الله عنه وكذا رواه الإمام أحمد والنسائي في عمل اليوم والليلة وهذا لفظه نصاً. وأبو داود ، ورواه أيضاً الترمذي من حديث معاذ بن جبل بمعناه. وروى هذا اللفظ من التعوذ أيضاً من حديث جبير بن مطعم ، ومن حديث عطاء بن السائب عن السلمي عن ابن مسعود.

من الشيطان الرجيم) فإني قرأت على عاصم بن بهدلة فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فإني قرأت على زر بن حبيش فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فإني قرأت على عبد الله بن مسعود فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فإني قرأت على النبي – صلى الله عليه وسلم – فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي يا ابن أم عبد قل (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) هكذا أخذته عن جبريل عن ميكائيل عن اللوح المحفوظ.

حديث غريب جيد الإسناد من هذا الوجه (ورويناه مسلسلاً) من طريق روح أيضاً قرأت على الشيخ الإمام العالم العارف الزاهد جمال الدين أبي محمد، محمد ابن محمد بن محمد بن محمد بن الجمالي النسائي مشافهة فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على الشيخ الإمام شيخ السنة سعد الدين محمد بن مسعود ابن محمد الكارزيني فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على أبي الربيع علي بن عبد الصمد بن أبي الحبش: أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على والدي: أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على محي الدين أبي محمد يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على والدي أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على أبي الحسن على بن يحيى البغدادي أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري: أعوذ بالسميع

العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على عناد بن إبراهيم النسفي: أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على محمود بن المثنى بن المغيرة. أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على أبي عصمة محمد بن أحمد السجزي: أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على أبي محمد عبد الله بن عجلان بن عبد الله الزنجاني: أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على أبي عثمان سعيد بن عبد الرحمن الأهوازي: أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على محمد بن عبد الله بن بسطام: أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على روح بن عبد المؤمن: أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على يعقوب بن إسحاق الحضرمي: أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على سلام بن المنذر: أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على عاصم بن أبي النجود: أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على زر بن حبيش: أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على عبد الله بن مسعود: أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإني قرأت على جبريل: أعوذ بالله السميع العليم فقال لي قل:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ثم قال لي جبريل هكذا أخذت عن ميكائيل وأخذها ميكائيل عن اللوح المحفوظ.

(وقد أخبرني) بهذا الحديث أعلى من هذا شيخاي الإمامان، الولي الصالح أبو العباس أحمد بن رجب المقرئ وقرأت عليه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، والمقرئ المحدث الكبير يوسف بن محمد السومري البغداديان فيما شافهنيّ به، وقرأ على أبي الربيع ابن أبي الحبش المذكور وأخبرني به عالياً جداً جماعة من الثقات منهم أبو حفص عمر بن الحسن بن مزبد بن أميلة المراغي، وقرأت عليه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، عن شيخه الإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن البخاري، قال أخبرنا الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي في كتابه فذكره بإسناده، وروى الخزاعي أيضاً في كتابه المنتهى بإسناد غريب عن عبد الله بن مسلم بن يسار قال قرأت على أبي ابن كعب فقلت أعوذ بالله السميع العليم فقال يا بني عمن أخذت هذا؟ قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كما أمرك الله عز وجل. (١)

(**الثانية**) دعوى الإجماع على هذا اللفظ بعينه مشكلة والظاهر أن المراد على أنه المختار فقد ورد تغيير هذا اللفظ والزيادة عليه والنقص منه كما سنذكره ونبين صوابه (**وأما أعوذ**) فقد نقل عن حمزة فيه، أستعيذ، ونستعيذ، واستعذت ولا يصح. وقد اختاره بعضهم كصاحب الهداية من الحنفية قال لمطابقة لفظ القرآن يعني قوله تعالى (فاستعذ بالله) وليس كذلك وقول الجوهري: عذت بفلان واستعذت به أي لجأت إليه، مردود عند أئمة اللسان بل لا يجزى ذلك على الصحيح كما لا يجزى: أتعوذ، ولا تعوذت،

١ – النشر فى القراءات العشر للإمام محمد بن محمد بن محمد بن الجزرى جـ ١ ص ٩٩ وما بعدها.

وذلك لنكتة ذكرها الإمام الحافظ العلامة أبو أمامة محمد بن علي بن عبد الرحمن ين النقاش رحمه الله تعالى في " كتابه اللاحق السابق والناطق الصادق " في التفسير فقال:

بيان الحكمة التي لأجلها لم تدخل السين والتاء في فعل المستعيذ الماضي والمضارع فقد قيل له: استعذ، بل لا يقال إلا أعوذ دون أستعيذ وأتعوذ واستعذت وتعوّذت. وذلك أن السين والتاء شأنهما منه أن الدلالة على الطلب فوردتا إيذانا بطلب التعوذ فمعنى استعذت بالله اطلب منه أن يعيذك. فامتثال الأمر هو أن يقول، أعوذ بالله، لأن قائله متعوذ أو مستعيذ قد عاذ والتجأ والقائل أستعيذ بالله ليس بعائذ إنما هو طالب العياذ كما تقول أستخير أي أطلب خيرته واستقلته أي طلب إقالته وأستغفره وأستقيله أي أطلب مغفرته؛ في فعل الأمر إيذانا بطلب هذا المعنى من المعاذية فإذا قال المأمور أعوذ بالله فقد امتثل ما طلب منه فإنه طلب منه نفس الاعتصام والالتجاء وفرق الاعتصام وبين طلب ذلك فلما كان المستعيذ هارباً ملتجأً معتصماً بالله أتي بالفعل الدال على طلب ذلك فتأمله. قال والحكمة التي لأجلها امتثل المستغفر الأمر بقوله استغفر الله أنه يطلب المغفرة التي لا تتأتي إلا منه بخلاف الاعتصام فامتثل الأمر بقوله استغفر الله أي أطلب منه أن يغفر لي، انتهى ولله دره ما ألطفه وأحسنه. (١)

والقصد أن الذي تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم في التعوذ للقراءة ولسائر تعوذاته من روايات لا تحصى كثرة ذكرناها في غير هذا الموضع هو لفظ: **أعوذ**. وهو الذي أمره الله تعالى به وعلمه إياه فقال "وقل ربي أعوذ بك من همزات الشياطين، قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب

١ – النشر فى القراءات العشر للإمام محمد بن محمد بن محمد بن الجزرى جـ ١ ص١٠٠ وما بعدها.

الناس" وقال عن موسى عليه السلام "أعوذ بالله من أن أكون من الجاهلين، إني عذت بربي وربكم" وعن مريم عليها السلام "أعوذ بالرحمن منك"

وفي صحيح أبي عوانة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أقبل علينا بوجهه فقال: " تعوذوا بالله من عذاب النار. قلنا نعوذ بالله من عذاب النار – قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قلنا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال. قلنا نعوذ بالله من فتنة الدجال . " فلم يقولوا في شيء من جوابه صلى الله عليه وسلم نتعوذ بالله ولا تعوذنا على طبق اللفظ الذي أمروا به كما أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل أستعيذ بالله ولا استعذت على طبق اللفظ الذي أمره الله به ولا كان صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعدلون عن اللفظ المطابق الأول المختار إلى غيره بل كانوا هم أولى بالاتباع وأقرب إلى الصواب وأعرف بمراد الله تعالى: كيف وقد علمنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كيف يستعاذ فقال:

" إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال. " رواه مسلم وغيره ولا أصرح من ذلك .

(وأما **بالله**) فقد جاء عن ابن سيرين: أعوذ بالسميع العليم. وقيده بعضهم بصلاة التطوع. ورواه أبو علي الأهوازي عن ابن واصل وغيره عن حمزة، وفي صحة ذلك عنهما نظر.

(وأما **الرجيم**) فقد ذكر الهذلي في كامله عن شبل بن حميد يعني ابن قيس أعوذ بالله القادر، من الشيطان الغادر، وحكي أيضاً عن أبي زيد عن أبي السماك "أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي" وكلاهما لا يصح

تغيير صيغة الاستعاذة بتقديم وتأخير ونحوه:

فقد روى ابن ماجة بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "اللهم أني أعوذ بك من الشيطان الرجيم. "وكذا رواه أبو داود من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلة عن معاذ بن جبل وهذا لفظه والترمذي بما معناه وقال مرسل. يعني أن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذاً لأنه مات قبل سنة عشرين ورواه ابن ماجة أيضاً بهذا اللفظ عن جبير بن مطعم واختاره بعض القراء. وفي حديث أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – : "إذا خرج أحدكم من المسجد فليقل اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم." رواه ابن ماجة، وهذا لفظه والنسائي من غير ذكر الرجيم. وفي كتاب ابن السني: "اللهم أعذني من الشيطان الرجيم . "وفيه أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه:" اللهم إني أعوذ بك من إبليس وجنوده." وروى الشافعي في مسنده عن أبي هريرة: أنه تعوذ في المكتوبة رافعاً صوته: "ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم .

تغيير صيغة الاستعاذة بالزيادة:

فقد وردت بألفاظ منها ما يتعلق بتنزيه الله تعالى .

(الأول) : "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم" نص عليها الحافظ أبو عمرو الداني في جامعه وقال إن على استعماله عامة أهل الأداء من أهل الحرمين والعراقيين والشام ورواه أبو علي الأهوازي أداه عن الأزرق بن الصباح وعن الرفاعي عن سليم وكلاهما عن حمزة ونصاً على أبي حاتم. ورواه الخزاعي عن أبي عدي عن ورش أداء (قلت) وقرأت أنا به في اختيار أبي حاتم السجستاني. ورواية حفص ممن طريق هبيرة. وقد رواه أصحاب السنن الأربعة وأحمد عن أبي سعيد الخدري بإسناد جيد. وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا الباب. وفي مسند أحمد بإسناد صحيح

عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر. وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا. ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة) رواه الترمذي وقال حسن غريب .

(الثاني): (أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم) ذكره الداني أيضاً في جامعه عن أهل مصر وسائر بلاد المغرب وقال إنه استعمله منهم أكثر أهل الأداء. وحكاه أبو معشر الطبري في سوق العروس عن أهل مصر أيضاً وعن قنبل والزينبي ورواه الأهوازي عن المصريين عن ورش وقال على ذلك وجدت أهل الشام في الاستعاذة إلا أني لم أقرأ بها عليهم من طريق الأداء عن ابن عامر وإنما هو شيء يختارونه ، ورواه أداء عن أحمد بن جبير في اختياره وعن الزهري وأبي بحرية وابن منادر ، ورواه الهذلي عن ابن كثير في غير رواية الزينبي .

(الثالث) : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. إن الله هو السميع العليم) رواه الأهوازي عن أبي عمرو. وذكره أبو معشر عن أهل مصر والمغرب ورويناه من طريق الهذلي عن أبي جعفر وشيبة ونافع في غير رواية أبي عدي عن ورش. وحكاه الخزاعي وأبو الكرم الشهرزوري عن رجالهما عن أهل المدينة وابن عامر والكسائي وحمزة في أحد وجوهه. وروى عن عمر ابن الخطاب ومسلم بن يسار وابن سيرين والثوري (وقرأت أنا) به في قراءة الأعمش إلا أنه في رواية الشنبوذي عنه أدغمت الهاء في الهاء.

(الرابـع) : (أعـوذ بـالله العظـيم مـن الشـيطان الـرجيم إن الله هـو السميـع العليم) رواه الهذلي عن الزينبي عن ابن كثير .

(الخامس) :(أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. إن الله هو السميع العليم) ذكره الأهوازي عن جماعة (وقرأت بـه) في قراءة الحسن البصري

(السادس):(أعوذبالله من الشيطان الرجيم وأستفتح بالله وهو خير الفاتحين)رواه أبو الحسين الخبازي عن شيخه أبي بكر الخوارزمي عن ابن مقسم عن إدريس عن خلف عن حمزة .

(السابع):(أعوذ بـالله العظيم وبوجهـه الكريم وسلطانـه القديم مـن الشـيطان الـرجيم.) رواه أبـو داود فـي الـدخول إلـى المسـجد عن عمـرو بـن العـاص عـن النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم – وقـال إذا قـال ذلـك قـال الشيطان حفظ مني سائر اليوم إسناده جيد ، ووردت أيضاً بألفاظ تتعلق بما يستعاذ منـه ففـي حـديث جبيـر بـن مطعـم (مـن الشـيطان الـرجيم مـن همـزة ونفثـه ونفخـه) رواه ابـن ماجـة وهـذا لفظـه وأبـو داود والحـاكم وابـن حبـان فـي صـحيحهما. وكـذا فـي حـديث أبـي سـعيد وفـي حـديث ابـن مسـعود: مـن الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه.

وفسروه فقالوا: همزه الجنون، ونفثه الشعر، ونفخه الكبر (وأما النقص) فلـم يتعـرض للتنبيـه عليـه اكثـر أئمتنـا. وكـلام الشـاطبي رحمـه الله يقتضـي عدمه والصحيح جوازه لما ورد فقد نص الحلواني في جامعه على جواز ذلك فقـال ولـيس للاسـتعاذة حـد ينتهـى إليـه. مـن شـاء زاد ومـن شـاء نقـص أي بحسب الرواية كما سيأتي.

تغيير صيغة الاستعاذة بالنقصان:

في سنن أبي داود من حديث جبير بن مطعم (أعوذ بالله من الشيطان) من غير ذكر الرجيم وكذا رواه غيره. وتقدم في حديث أبي هريرة من رواية النسائي "اللهم اعصمني من الشيطان" من غير ذكر الرجيم.

فهذا الذي أعلمه ورد في الاستعاذة من الشيطان في حال القراءة وغيرها. ولا ينبغي أن يعدل عما صح منها حسبما ذكرناه مبيناً ولا يعدل عما ورد عن السلف الصالح فإنما نحن متبعون لا مبتدعون.

قال الجعبري : "في شرح قول الشاطبي وإن تزد لربك تنزيها فلست مجهلا. " هذه الزيادة وإن أطلقها فهي مقيده بالرواية. وعامة في غير التنزيه. (١)

ثانيا : الجهـــر والإســـرار بهـــا:

وفيه مسائـــل

(**الأولى**) أن المختار عند الأئمة القراء هو الجهر بها عن جميع القراء لا نعلم في ذلك خلافاً عن أحد منهم إلا ما جاء عن حمزة وغيره مما نذكره وفي كل حال من أحوال القراءة كما نذكره قال الحافظ أبو عمرو في جامعه: لا أعلم خلافاً في الجهر بالاستعاذة عند افتتاح القرآن وعند ابتداء كل قارئ بعرض أو درس أو تلقين في جميع القرآن إلا ما جاء عن نافع وحمزة ثم روى عن ابن المسيبي أنه سئل عن استعاذة أهل المدينة أيجهرون بها أم يخفونها؟ قال ما كنا نجهر ولا نخفي،ما كنا نستعيذ البتة. وروى عن أبيه عن نافع أنه كان يخفي الاستعاذة ويجهر بالبسملة عند افتتاح السور

١ – النشر فى القراءات العشر للإمام محمد بن محمد بن محمد بن الجزرى جـ ١ ص ١٠١

ورؤوس الآيات في جميع القرآن. وقد ورد من طرق كتابنا عن حمزة على وجهين:

أحدهما إخفاؤه حيث قرأ القارئ مطلقا أي في أول الفاتحة وغيرها وهو الذي لم يذكره أبو العباس المهدوي عن حمزة من روايتي خلف وخلاد سواء وكذا روى الخزاعي عن الحلواني عن خلف وخلاد. وكذا ذكر الهذلي في كامله وهي رواية إبراهيم بن زربى عن سليم عن حمزة.

الثاني: الجهر بالتعوذ في أول الفاتحة فقط وإخفاؤه في سائر القرآن، وهو الذي نص عليه في المبهج عن خلف عن سليم وفي اختياره وهي رواية محمد بن لاحق التميمي عن سليم عن حمزة ورواه الحافظ الكبير أبو الحسن الدارقطني في كتابه عن أبي الحسن بن المنادي عن الحسن بن العباس عن الحلواني عن خلف عن سليم عن حمزة أنه كان يجهر بالاستعاذة والبسملة في أول سورة فاتحة الكتاب ثم يخفيها بعد ذلك في جميع القرآن جميعاً انتهى. وقد انفرد أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد الطبري عن الحلواني عن قالون بإخفائها في جميع القرآن.

(الثانية) أطلقوا اختيار الجهر في الاستعاذة مطلقاً ولا بد من تقييده وقد قيده الإمام أبو شامة رحمه الله تعالى بحضرة من يسمع قراءته ولا بد من ذلك قال لأن الجهر بالتعوذ إظهار لشعائر القراءة كالجهر بالتلبية وتكبيرات العيد، **ومن فوائده أن السامع ينصت القراءة من أولها لا يفوته منها شيء**. وإذا أخفى التعوذ لم يعلم السامع بالقراءة إلا بعد أن فاته من المقروء شيء. وهذا المعنى هو الفارق بين القراءة خارج الصلاة وفي الصلاة فإن المختار في الصلاة الإخفاء لأن المأموم منصت من أول الإحرام بالصلاة، وقال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله: إذا تعوذ في الصلاة التي يسر فيه بالقراءة أسر بالتعوذ فإن تعوذ في التي يجهر فيها

بالقراءة فهل يجهر؟ فيه خلاف، من أصحابنا من قال يسر. وقال الجمهور والشافعي في المسألة قولان: أحدهما يستوي الجهر والإسرار وهو نصه في الأم والثاني يسن الجهر وهو نصه في الإملاء ومنهم من قال قولان أحدهما يجهر صححه الشيخ أبو حامد الاسفرابيني إمام أصحابنا العراقيين وصاحبه المحاملي وغيره وهو الذي كان يفعله أبو هريرة وإن ابن عمر رضي الله عنهما يسر وهو الأصح عند جمهور أصحابنا وهو المختار .(قلت) حكى صاحب البيان القولين على وجه آخر فقال أحد القولين إنه يتخير بين الجهر والسر ولا ترجيح والثاني يستحب فيه الجهر ثم نقل عن أبي علي الطبري أنه يستحب فيه الإسرار وهذا مذهب أبي حنيفة واحمد ومذهب مالك في قيام رمضان. زمن المواضع التي يستحب فيها الإخفاء إذا قرأ خالياً سواء قرأ جهراً أو سراً ومنها إذا قرأ سراً فإنه يسر أيضاً ومنها إذا قرأ في الدور ولم يكن في قراءته مبتدئاً يسر بالتعوذ لتتصل القراءة ولا يتخللها أجنبي فإن المعنى الذي من أجله استحب الجهر هو الإنصات فقط في هذه المواضع.

(الثالثة) اختلف المتأخرون في المراد بالإخفاء فقال كثير منهم هو الكتمان عليه وحمل كلام الشاطبي أكثر الشراح فعلى هذا يكفي فيه الذكر في النفس من غير تلفظ. وقال الجمهور: المراد به الإسرار، وعليه حمل الجعبري كلام الشاطبي فلا يكفي فيه التلفظ وإسماع نفسه وهذا هو الصواب لأن نصوص المتقدمين كلها على جعله ضدا للجهر وكونه ضداً للجهر يقتضي الإسرار به والله تعالى أعلم.

(فأما قول) ابن المسيبي ما كنا نجهر ولا نخفي ما كنا نستعيذ البتة فمراده الترك رأساً كما هو مذهب مالك رحمه الله تعالى كما سيأتي. [١]

ثالثا : محلهـا:

وهو قبل القراءة إجماعاً ولا يصح قول بخلافه عن أحد ممن يعتبر قوله: وإنما آفة العلم التقليد فقد نسب إلى حمزة وأبي حاتم. ونقل عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن سيرين وإبراهيم النخعي. وحكى عن مالك وذكر أنه مذهب داود بن علي الظاهري وجماعته عملاً بظاهر الآية وهو: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) فدل على أن الاستعاذة بعد القراءة ، وحكى قول آخر وهو الاستعاذة قبل وبعد ، ذكره الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره .

ولا يصح شيء في هذا عمن نقل عنه ولا ما استدل به لهم. أما حمزة وأبو حاتم فالذي ذكر ذلك عنهم هو أبو القاسم الهذلي فقال في كامله قال حمزة في رواية ابن فلوقا إنما يتعوذ بعد الفراغ من القرآن وبه قال أبو حاتم (قلت) أما رواية ابن فلوقا عن حمزة فهي منقطعة في الكامل لا يصح إسنادها وكل من ذكر هذه الرواية عن حمزة من الأئمة كالحافظين أبي عمرو الداني وأبي العلاء الهمداني وأبي طاهر بن سوار وأبي محمد سبط الخياط وغيرهم لم يذكروا ذلك عنه ولا عرجوا عليه.

وأما أبو حاتم فإن الذين ذكروا روايته واختياره كابن سوار وابن مهران وأبي معشر الطبري والإمام أبي محمد البغوي وغيرهم لم يذكروا شيئاً ولا حكوه.

وأما أبو هريرة فالذي نقل عنه رواه الشافعي في مسنده: أخبرنا إبراهيم بن محمد عن ربيعة ابن عثمان عن صالح بن أبي صالح أنه سمع أبا هريرة وهو يؤم الناس رافعاً صوته (ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم)

١ – النشر فى القراءات العشر للإمام محمد بن محمد بن محمد بن الجزرى جـ ١ ص١٠٢ وما بعدها.

في المكتوبة إذا فرغ من أم القرآن. وهذا الإسناد لا يحتج به لأن إبراهيم بن محمد هو الاسلمي وقد أجمع أهل النقل والحديث على ضعفه ولم يوثقه سوى الشافعي، قال أبو داود: كان قدرياً رافضياً كل بلاء فيه. وصالح بن أبي صالح الكوفي ضعيف واه، وعلى تقدير صحته لا يدل على الاستعاذة بعد القراءة بل يدل أنه كان يستعيذ إذا فرغ من أم القرآن أي للسورة الأخرى وذلك واضح. فأما أبو هريرة هو ممن عرف بالجهر بالاستعاذة. وأما ابن سيرين والنخعي فلا يصح عن واحد منهما عند أهل النقل.

وأما مالك فقد حكاه عنه القاضي أبو بكر بن العربي في المجموعة. وكفى في الرد والشناعة على قائله.

وأما داود وأصحابه فهذه كتبهم موجودة لا تعد كثرة لم يذكر فيها أحد شيئاً من ذلك. وقد نص ابن حزم إمام أهل الظاهر على التعوذ قبل القراءة ولم يذكر غير ذلك .

(وأما الاستدلال) بظاهر الآية فغير صحيح بل هي جارية على أصل لسان العرب وعرفه وتقديرها عند الجمهور إذا أردت القراءة فاستعذ وهو كقوله تعالى (إذا قمتم للصلاة فاغسلوا وجوهكم) وكقوله – صلى الله عليه وسلم – : " من أتى الجمعة فليغتسل" وعندي أن الأحسن في تقديرها: إذا ابتدأت وشرعت كما في حديث جبريل عليه السلام: فصلى الصبح حين طلع الفجر. أي أخذ في الصلاة عند طلوعه. ولا يمكن القول بغير ذلك. وهذا بخلاف قوله في الحديث: ثم صلاها بالغد بعد أن أسفر. فإن الصحيح أن المراد بهذا الابتداء خلافاً لمن قال أن المراد الانتهاء.

ثم أن المعنى الذي شرعت الاستعاذة له يقتضي أن تكون قبل القراءة لأنها طهارة الفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطييب له. وتهيؤ

لتلاوة كلام الله تعالى فهي التجاء إلى الله تعالى واعتصام بجنابه من خلل يطرأ عليه أو خطأ يحصل منه في القراءة وغيرها وإقرار له بالقدرة. [١]

رابعا : في الوقف على الاستعاذة

وقل من تعرض لذلك من مؤلفي الكتب. ويجوز الوقف على الاستعاذة والابتداء بما بعدها بسملة كان أو غيرها ويجوز وصله بما بعدها والوجهان صحيحان. وظاهر كلام الداني رحمه الله أن الأولى وصلها بالبسملة لأنه قال في كتابه "الاكتفاء" الوقف على آخر التعوذ تام وعلى آخر البسملة أتم

خامسا : في حكم الاستعاذة استحباباً ووجوباً.

وقد تكفل أئمة التفسير والفقهاء بالكلام فيها. ونشير إلى ملخص ما ذكر فيها من مسائل .

(<u>الأولى</u>) ذهب الجمهور إلى أن الاستعاذة مستحبة في القراءة في كل حال: في الصلاة وخارج الصلاة، وحملوا الأمر في ذلك على الندب، وذهب داود بن علي وأصحابه إلى وجوبها حملاً للأمر على الوجوب كما هو الأصل حتى أبطلوا صلاة من لم يستعذ.

وقد جنح الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله إلى القول بالوجوب وحكاه عن عطاء بن أبي رباح واحتج له بظاهر الآية من حيث الأمر. والأمر ظاهره الوجوب وبمواظبة النبي – صلى الله عليه وسلم – عليها ولأنها تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب، وقال ابن سيرين إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب وقال بعضهم كانت واجبة على النبي –صلى الله عليه وسلم – دون أمته حكى هذا شيخنا الإمام عماد الدين بن كثير رحمه الله تعلى في تفسيره.

١ – النشر فى القراءات العشر للإمام محمد بن محمد بن محمد بن الجزرى جـ ١ ص ١٠٢ وما بعدها.

(**الثانيــة**) الاستعاذة في الصلاة للقراءة لا للصلاة. وهذا مذهب الجمهور كالشافعي وأبي حنيفة ومحمد بن الحسن وأحمد بن حنبل. وقال أبو يوسف هي للصلاة، فعلى هذا يتعوذ المأموم وإن كان لا يقرأ ويتعوذ في العيدين بعد الإحرام وقبل تكبيرات العيد. ثم إذا قلنا بأن الاستعاذة للقراءة فقط فهل قراءة الصلاة قراءة واحدة فتكفي الاستعاذة في أول ركعة أو قراءة كل ركعة مستقلة بنفسها فلا يكفي قولان للشافعي. وهما روايتان عن أحمد. والأرجح الأول للحديث أبي هريرة في الصحيح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة ولم يسكت ولأنه لم يتخلل القراءتين أجنبي بل تخللها ذكر فهي كالقراءة الواحدة. ورجح الإمام النووي وغيره الثاني، وأما الإمام مالك فإنه قال: لا يستعاذ إلا في قيام رمضان فقط. وهو قول يعرف لمن قبله. وكأنه أخذ بظاهر الحديث الصحيح عن عائشة – رضي الله عنها – كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم – : يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين. ورأى أن هذا دليل على ترك التعوذ فأما قيام رمضان فكأنه رأى الأغلب عليه جانب القراءة والله أعلم.

(**الثالثة**) إذا قرأ جماعة جملة هل يلزم كل واحد الاستعاذة أو تكفي استعاذة بعضهم؟ لم أجد فيها نصاً ويحتمل أن تكون عيناً على كل من القولين بالوجوب والاستحباب والظاهر الاستعاذة لكل واحد لأن المقصود اعتصام القارئ والتجاؤه بالله تعالى عن شر الشيطان كما تقدم فلا يكون تعوذ واحد كافياً عن آخر كما اخترناه في التسمية على الأكل وذكرناه في غير هذا الموضع وأنه ليس من سنن الكفايات والله أعلم.

(**الرابعة**) إذا قطع القارئ القراءة لعارض من سؤال أو كلام يتعلق بالقراءة لم يعد الاستعاذة وبخلاف ذلك ما إذا كان الكلام أجنبياً ولو رداً للسلام فإنه يستأنف الاستعاذة وكذا لو كان القطع إعراضاً عن القراءة كما تقدم والله أعلم. وقيل يستعيذ واستدل له بما ذكره أصحابنا.

سادسا : مـــــعنى الاستعـــاذة : [١]

قال أبو جعفر : **والاستعاذة** : الاستجارة. وتأويل قول القائل : { أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } أستجيرُ بالله – دون غيره من سائر خلقه – من الشيطان أن يضرَّني في ديني ، أو يصدَّني عن حق يلزَمُني لرَبي. تأويل قوله : { مِنَ **الشَّيْطَانِ** } قال أبو جعفر : والشيطان ، في كلام العرب: كل **متمرِّد** من الجن والإنس والدوابِّ وكل شيء. وكذلك قال ربّنا جل ثناؤه: **{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ }** [سورة الأنعام : ١١٢]، فجعل من الإنس شياطينَ ، مثلَ الذي جعل من الجنّ.وقال عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ، وركب بِرذَوْنًا فجعل يتبختر به ، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترًا ، فنزل عنه ، وقال : ما حملتموني إلا على شيطانٍ! ما نزلت عنهُ حتى أنكرت نَفسي.حدثنا بذلك يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال: أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر.قال أبو جعفر : وإنما **سُمي المتمرِّد** من كل شيء شيطانًا، لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاقَ سائر جنسه وأفعاله ، وبُعدِه من الخير. وقد قيل : إنه أخذ منقول القائل: شَطَنَتْ دَاري من دارك – يريد بذلك : **بَعُدت**. ومن ذلك قول نابغة نأتْ بِسُعَادَ عَنْك نَوًى شَطُونُ ... فبانَت ، والفؤادُ بها رَهِينُ

وأما **الرجيم** فهو : فَعيل بمعنى مفعول ، كقول القائل : كفٌّ خضيبٌ، ولحيةٌ دهين ، ورجل لَعينٌ ، يريد بذلك : مخضوبة ومدهونة وملعون. وتأويل الرجيم : الملعون المشتوم. وكل مشتوم بقولٍ رديء أو سبٍّ فهو مَرْجُوم. وأصل الرجم الرَّميُ ، بقول كان أو بفعل. ومن الرجم بالقول قول أبي إبراهيم لإبراهيم صلوات الله عليه : **{ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ }** [سورة مريم : ٤٦].وقد يجوز أن يكون قِيل للشيطان رجيمٌ ، لأن الله جل ثناؤه طرَده من سَمواته ، **ورجمه بالشُّهب الثَّواقِب**

١ جامع البيان في تأويل القرآن ج ١ ص ١١٥

المطلب الثالث : أحكام البســـــملـــة و معناها.

أولا : أحكام البسمــلة :

لـم يكـن بيـنهم خـلاف فـي إثبـات البسـملة أول الفاتحـة سـواء وصـلت بسورة الناس قبلها أو ابتدئ بها لأنها ولو وصلت لفظاً فإنها مبتدأ بها حكماً ولذلك كان الواصل هنا حالاً مرتحلاً، وأما ما رواه الخرقي عن ابن سيف عـن الأزرق عـن ورش أنـه تـرك البسـملة أول الفاتحـة فـالخرقي هـو شـيخ الأهوازي وهو محمد بن عبد الله بن القاسم مجهول لا يعرف إلا من جهة الأهوازي ولا يصح ذلك عن ورش بل المتواتر عنه خلافه قال الحافظ أبو عمرو في كتابه الموجز: "اعلم أن عامة أهل الأداء من مشيخة المصريين رووا أداء عن أسلافهم عن أبي يعقوب عن ورش أنه كان يترك البسملة بين كل سورتين في جميع القرآن إلا في أول فاتحة الكتاب فإنه يبسمل في أولها لأنها أول القرآن فليس قبلها سورة يوصل آخرها بها. " هكذا قرأت على ابن خاقان وابن غلبون وفارس بن أحمد وحكوا ذلك عن قراءتهم متصلاً وانفرد صاحب الكافي بعدم البسملة لحمزة في ابتداء السور سوى الفاتحة وتبعه على ذلك ولده أبو الحسن شريح فيما حكاه عنه أبو جعفر بن الباذش من أنه من كان يأخذ لحمزة بوصل السورة بالسورة لا يلتزم بالوصل البتة بل آخر السورة عنده كآخر آية وأول السورة الأخرى كأول آية أخرى فكما لا يلتزم له ولا لغيره وصل الآيات بعضهن ببعض كذا لا يلتزم له وصل السورة حتماً بل إن وصل فحسن و إن ترك فحسن. (قلت) حجته في ذلك قول حمزة: القرآن عندي كسورة واحدة. فإذا قرأت (بسم الله الرحمن الرحيم)

في أول فاتحة الكتاب أجزأني ولا حجة في ذلك فإن كلام حمزة يحمل على حالة الوصل لا الابتداء لإجماع أهل النقل على ذلك والله أعلم. [١]

ثانيا : وهل هي آية في أول كل سورة كتبت فيه أم لا ؟

اختلف في هذه المسألة على خمسة أقوال :

(**أولها**) أنها آية من الفاتحة فقط وهذا مذهب أهل مكة والكوفة ومن وافقهم. وروى قولاً للشافعي .

(**الثاني**) أنها آية من أول الفاتحة ومن أول كل سورة وهو الأصح من مذهب الشافعي ومن وافقه وهو رواية عن أحمد ونسب إلى أبي حنيفة (**الثالث**) أنها آية من أول الفاتحة بعض آية من غيرها وهو القول الثاني للشافعي .

(**الرابع**) أنها آية مستقلة في أول كل سورة لا منها وهو المشهور عن أحمد و داود وأصحابه وحكاه أبو بكر الرازي عن أبي الحسن الكرخي وهو من كبار أصحاب أبي حنيفة .

(**الخامس**) أنها ليست بآية ولا بعض آية من أول الفاتحة ولا من أول غيرها وإنما كتبت للتيمن والتبرك وهو مذهب مالك وأبي حنيفة ومن وافقهم ذلك مع إجماعهم على أنها بعض آية من سورة النمل وأن بعضها آية من الفاتحة (قلت) وهذه الأقوال ترجع إلى النفي والإثبات والذي نعتقده أن كليهما صحيح وأن كل ذلك حق فيكون الاختلاف فيهما كاختلاف القراءات. [٢]

١ – النشر فى القراءات العشر للإمام محمد بن محمد بن محمد بن الجزرى جـ ١ ص ١٠٤ وما بعدها.
٢ – النشر فى القراءات العشر للإمام محمد بن محمد بن محمد بن الجزرى جـ ١ ص ١٠٥ وما بعدها.

ثالثا: حكم الجهر بالبسملة:

اختلف العلماء على الجهر بها على ثلاث مذاهب هي :

١ – أنها لا تقرأ أصلا لا سرا و لا جهرا هذا مذهب مالك وحكى أيضا عن الأوزاعى .

٢ – أنها تقرأ سرا كالتعوذ ، هذا قول سفيان و أصحاب الرأى و أحمد وحكى عن ابن مسعود.

٣ – لها حكم غيرها يسر بها فى الصلاة السرية و يجهر بها فى الصلاة الجهرية ، وهو رأى الشافعى ، وحكى عن عمر و على و ابن عمر و ابن عباس . [١]

رابعا: معنى "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "

قال أبو جعفر : إن الله تعالى ذكره وتقدَّست أسماؤه أدّب نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديمَ ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله ، وتقدَّم إليه في وَصفه بها قبل جميع مُهمَّاته .

معنى الباء:

١ – قال الزجاج تقتضى معنى الإلصاق وليس غير الباء يحدث ذلك المعنى من حروف الجر. أى أبدأ ملتبسا باسم الله متبركا به .

٢ – يحتمل معنى الاستعانة : أى أبدأ مستعينا بالله .

٣ – يحتمل معنى المصاحبة : أى أبدأ مع اسم الله . [٢]

و الباء هنا تتطلب فعلا لأن القائل إذا قال : " بسم الله الرحمن الرحيم " ثم افتتح تاليًا سورةً ، يُنبئ عن معنى قوله : " بسم الله الرحمن الرحيم " ومفهومٌ به أنه مريد بذلك : أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. وكذلك

١ –كتاب البسملة لأبى شامة٢٩٣ وما بعدها.

٢ –كتاب البسملة لأبى شامة٥٥١ وما بعدها.

قوله : " بسم الله " عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله ، ينبئ عن معنى مراده بقوله " بسم الله " ، وأنه أراد بِقِيلِه " بسم الله " ، أقوم باسم الله ، وأقعد باسم الله. وكذلك سائر الأفعال. وإنما معنى قوله " بسم الله " : أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء أو أقرأ بتسميتي اللهَ ، أو أقوم وأقعد بتسميتي اللهَ وذكرِه – لا أنه يعني بقِيلِه " بسم الله " : أقوم بالله ، أو أقرأ بالله، وكذلك معنى قول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن : " بسم الله الرحمن الرحيم " ، إنما معناه : أقرأ مبتدئًا بتسمية الله ، أو أبتدئ قراءتي بتسمية الله. فجُعِل " الاسمُ " مكان التسمية ، كما جُعل الكلامُ مكان التكليم ، والعطاءُ مكان الإعطاء. [١] ويحتمل أن يكون المحذوف اسما.

وحذف الفعل أو الاسم هنا حتى لايتقدم شيء على اسم الله .

معنى الاسم : [٢]

– قيل : هو من الأسماء محذوفة الأعجاز مثل " يد ، و دم " و أصله سمو و اشتقاقه من السمو أى العلو لأن التسمية تنويه بالمسمى و إشادة بذكره .

– وقيل : مأخوذ من السمة و هى العلامة وهو من وسمت.

وتحذف الألف من اسم مع لفظ الجلالة فقط ، لأنها للوصل و لكثرة الاستعمال ولمعرفتها ، أو هذا مما اختص به لفظ الجلالة للقرب فالله أقرب لعبده ، خاصة إذا ذكره باسمه و استعان و التصق به. كما أنها تحذف مع الباء دون غيرها من حروف الجر.

١ – جامع البيان في تأويل القرآن ج ١ ص١٢٥.
٢ –كتاب البسملة لأبى شامة٥٦٥ وما بعدها.

معنى " الله " :

هو الاسم الأعظم الذى يجرى عليه باقى الأسماء وهى صفة له فهو علم على خالق العالم.

و **أما أصله** فقيل : هو علم غير مشتق وهذا الأرجح فى رأينا، وقيل: مشتق وتحيروا فى اشتقاقه على أقوال هى :

١ – قال أبو جعفر : وأما تأويل قول الله تعالى ذكره " الله " ، فإنه على معنى ما رُوي لنا عن عبد الله بن عباس – : هو الذي يَأْلَهه كل شيء، أى يعبده كل خلْقٍ.

" الله " أصله " الإله " ، أسقطت الهمزةُ التي هي فاء الاسم ، فالتقت اللام التي هي عين الاسم ، واللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة وهي ساكنة ، فأدغمت في الأخرى التي هي عين الاسم ، فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشددة

٢ – أصله " وله " وهى الحيرة لأن العقول تحار فى عظمته .

٣ – أصله " لاه " أى علا ، فهو من العلو . [١]

معنى "الرحمن الرحيم " [٢]

قال أبو جعفر : وأما " الرحمن " ، فهو فَعلان ، من رَحم ، و " الرحيم " فعيل منه. والعرب كثيرًا ما تبني الأسماء من " فَعِل يفْعَل " على " فعلان " ، كقولهم من غَضِب : غَضبان ، ومن سَكر : سكران ، ومن عَطش : عطشان. فكذلك قولهم " رَحمن " من رَحِمَ ، لأن " فعِلَ " منه : رَحم يرْحم. وقيل " رحيم " ، وإن كانت عَين " فعِل " منها مكسورة ، لأنه

١ –كتاب البسملة لأبى شامة ص ٦٥٠
وما بعدها.

٢ – جامع البيان في تأويل القرآن ج ١ ص١٣٠ وما بعدها.

مـدح. ومـن شـأن العـرب أن يحملـوا أبنيـة الأسـماء – إذا كـان فيهـا مـدح أو ذم– علـى " فعيل ".**فـإن قـال قائـل : فـإذا كـان الـرحمن والـرحيم اسـمين مشـتقين مـن الرحمـة ، فمـا وجـهُ تكريـر ذلـك ، وأحـدهما مـؤدٍّ عـن معنـى الآخر ؟**

قيل له : ليس الأمر في ذلك على ما ظننتَ ، بل لكل كلمة منهما معنى.

١ – فحدثني السري بن يحيى التميمي ، قال : حدثنا عثمان بن زفر ، قال: سمعت العَرْزَمي يقول : " الرحمن الرحيم " ، قال : الرحمن بجميع الخلق ، الرّحيم ، قال : بالمؤمنين." (١)

٢ – : الرحمن رَحمنُ الآخرة والدنيا ، والرحيم رحيمُ الآخرة.

لا فرق بين المعنيين لأن الله بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميعَ خلقه ، وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعضَ خلقه، إما في كل الأحوال ، وإما في بعض الأحوال.

٣ – الرحمن أى الممتلئ رحمة بخلقه لأنه من فعلان التى تفيد الامـــتلاء، و الرحيم أى الدائم رحمته لا تتغير لأن فعيل تفيد الثبوت .

١ – الأثر نقله ابن كثير في التفسير ١ : ٤٠ عن هذا الموضع . و " السري بن يحيى ابن السري التميمي الكوفي " ، شيخ الطبري ، لم نجد له ترجمة إلا في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٢٨٥ ، وقال : " لم يقض لنا السماع منه ، وكتب إلينا بشيء من حديثه ، وكان صدوقًا " . و " العرزمي " المرويُّ عنه هذا الكلام هنا : ضعيف جدا ، قال الإمام أحمد في المسند ٦٩٣٨ : " لا يساوي حديثه شيئًا " .

لماذا قدم "الله الرحمن" على "الرحيم" ؟

لله جلَّ ذكره أسماءٌ قد حرَّم على خلقه أن يتسمَّوا بها ، خَصَّ بها نفسه دونهم ، وذلك مثلُ " الله " و " الرحمن " و " الخالق " ؛ وأسماءٌ أباحَ لهم أن يُسمِّيَ بعضهم بعضًا بها ، وذلك : كالرحيم والسميع والبصير والكريم، وما أشبه ذلك من الأسماء – كان الواجب أن تقدَّم أسماؤه التي هي له خاصة دون جميع خلقه ، ليعرف السامعُ ذلك مَنْ تَوجَّه إليه الحمد والتمجيدُ ، ثم يُتبع ذلك بأسمائه التي قد تسمى بها غيره ، بعد علم المخاطب أو السامع من توجَّه إليه ما يتلو ذلك من المعاني.

لماذا قدم "الله على الرحمن : لأن الألوهية ليست لغيره جلّ ثناؤه من وجهٍ من الوجوه ، لا من جهة التسمِّي به ، ولا من جهة المعنى.

المطلب الرابع : نزولها و عدد كلماتها.

أولا : نـــــــزولها :

قال ابن عباس وقتادة و أبو العالية والجمهور هى مكيـــة ، وقال أبو هريرة ومجاهد وعطاء والزهرى هى مدنيـــة ،ويقال نزلت بمكة ونزلت بالمدينة.

والأول هو الصواب لقوله تعالى :

" ولقد ءاتيناك سبعا من المثانى والقرءان العظيم " والحجر مكية بالإجماع وفرض الصلاة كان بمكة. (١)

ثانيا : ترتيب نزولها:

الذى عليه أكثر الأئمة أنها نزلت بعد " اقرأ " و " المدثر" و فى الكشاف ذهب ابن عباس و مجاهد أن الفاتحة هى أول ما نزل ، و الرأى الأول أولى للأحاديث الواردة الصحيحة ، أما الحديث فى أنها أول ما نزل فمرسل ، ويحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد " اقرأ " و " المدثر" . (٢) وعلى كل فهى من أول مانزل من القرآن الكريم.

رابعا : عدد كلماتها و حروفها:

عدد كلماتها تسع و عشرون كلمة بالبسملة ، وبدونها خمس عشرون كلمة.

عدد حروفها مائة و تسعة و ثلاثون حرفا بالبسمـــلة ، وبدونها مائة و عشرون حرفا .

١ – تفسير القرطبى جـ١ ص وما بعدها.

٢ – الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ١ ص ٣٨

المطلب الخامس : سبب تسميتها بأم القـــــــــرآن .

السبب في تسميتها " أم القرآن " وجوه: [١] –

<u>الأول</u> : أن أم الشيء أصله ، والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة :الإلهيات ، والمعاد ، والنبوات ، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى ، فقوله : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم يدل على الإلهيات ، وقوله : مالك يوم الدين (يدل على المعاد ، وقوله) : إياك نعبد وإياك نستعين يدل على نفي الجبر والقدر ، وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يدل أيضا على إثبات قضاء الله وقدره وعلى النبوات ، ، فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة ، وكانت هذه السورة مشتملة عليها – لقبت بأم القرآن .

<u>السبب الثاني لهذا الاسم :</u> أن حاصل جميع الكتب الإلهية يرجع إلى أمور ثلاثة :إما الثناء على الله باللسان ، وإما الاشتغال بالخدمة والطاعة ، وإما طلب المكاشفات والمشاهدات ، فقوله :الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين (كله ثناء على الله ، وقوله) : إياك نعبد وإياك نستعين (اشتغال بالخدمة والعبودية ، إلا أن الابتداء وقع بقوله : إياك نعبد وهو إشارة إلى الجد والاجتهاد في العبودية ، ثم قال : وإياك نستعين ، وهو إشارة إلى اعتراف العبد بالعجز والذلة والمسكنة والرجوع إلى الله ، وأما قوله) : اهدنا الصراط المستقيم (فهو طلب للمكاشفات والمشاهدات وأنواع الهداية

١ – تفسيرالرازى جـ١ ص ١٤٥وما بعدها.

السبب الثالث لتسمية هذه السورة بأم الكتاب : أن المقصود من جميع العلوم : إما معرفة عزة الربوبية ، أو معرفة ذلة العبودية ، فقوله :الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يدل على أنه هو الإله المستولي على كل أحوال الدنيا والآخرة ، ثم من قوله :إياك نعبد وإياك نستعين إلى آخر السورة يدل على ذل العبودية ، فإنه يدل على أن العبد لا يتم له شيء من الأعمال الظاهرة ولا من المكاشفات الباطنة إلا بإعانة الله

السبب الرابع : أن العلوم البشرية إما علم ذات الله وصفاته وأفعاله وهو علم الأصول ، وإما علم أحكام الله تعالى وتكاليفه ، وهو علم الفروع ، وإما علم تصفية الباطن وظهور الأنوار الروحانية والمكاشفات الإلهية .والمقصود من القرآن بيان هذه الأنواع الثلاثة ، وهذه السورة الكريمة مشتملة على تقرير هذه المطالب الثلاثة على أكمل الوجوه ، فقوله : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إشارة إلى علم الأصول ؛ لأن الدال على وجوده وجود مخلوقاته ، فقوله : رب العالمين (يجري مجرى الإشارة إلى أنه لا سبيل إلى معرفة وجوده إلا بكونه ربا للعالمين ، وقوله) : الحمد لله (إشارة إلى كونه مستحقا للحمد ، ولا يكون مستحقا للحمد إلا إذا كان قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات ، ثم وصفه بنهاية الرحمة – وهو كونه رحمانا رحيما – ثم وصفه بكمال القدرة – وهو قوله : مالك يوم الدين حيث لا يهمل أمر المظلومين ، بل يستوفي حقوقهم من الظالمين ، وعند هذا تم الكلام في معرفة الذات والصفات وهو علم الأصول ، ثم شرع بعده في تقرير علم الفروع وهو الاشتغال بالخدمة والعبودية ، وهو قول : إياك نعبد ثم مزجه أيضا بعلم الأصول مرة أخرى،

وهو أن أداء وظائف العبودية لا يكمل إلا بإعانة الربوبية ، ثم شرع بعده في بيان درجات المكاشفات ، وهي على كثرتها محصورة في أمور ثلاثة :

أولها : حصول هداية النور في القلب ، وهو المراد من قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم .

وثانيها : أن يتجلى له درجات الأبرار المطهرين من الذين أنعم الله عليهم بالجلايا القدسية والجواذب الإلهية ، حتى تصير تلك الأرواح القدسية كالمرايا المجلوة ، فينعكس الشعاع من كل واحدة منها إلى الأخرى ، وهو قوله : صراط الذين أنعمت عليهم ، وثالثها : أن تبقى مصونة معصومة عن أوضار الشهوات ، وهو قوله : غير المغضوب عليهم (وعن أوزار الشبهات ، وهو قوله : ولا الضالين

فثبت أن هذه السورة مشتملة على هذه الأسرار العالية التي هي أشرف المطالب ؛ فلهذا السبب سميت بأم الكتاب كما أن الدماغ يسمى أم الرأس ؛ لاشتماله على جميع الحواس والمنافع .

المبحث الثاني: تفسير السورة

و يتناول خمسة مطالب هى:

المطلب الأول: المعانى التى اشملت عليهـا الســورة.

المطلب الثانى: بلاغة ألفاظها ، و أسباب وضع الألفاظ فى مواضعها.

المطلب الثالث: القــراءات المتواترة الواردة فيـــــها و توجيههـــا.

المطلب الرابع : المنـــــــــــاسبة بين آياتـــها .

المطلب الخامس : شبهـــــــــــــات وردود .

المطلب الأول: المعانى التى اشملت عليهـــا السورة.

أولا : حول معنى " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "

قال أبو جعفر : ومعنى(الْحَمْدُ لِلَّهِ) : **الشكر خالصًا لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه** ، ودون كلِّ ما برَأَ من خلقه ، بما أنعم على عباده من النِّعم التي لا يُحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره أحدٌ مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق ، وَغذَاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم لذلك عليه ، ومع ما نبَّههم عليه ودعاهم إليه ، من الأسباب المؤدِّية إلى دوام الخلود في دار المُقام في النعيم المقيم. فلربِّنا الحمدُ على ذلك كله أولا وآخرًا.

٢ – وقد قيل : إنّ قول القائل " الحمد لله " ، ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحُسنى ، وقوله : " الشكر لله " ، ثناء عليه بنعمه وأياديه.

و الحمد لله قد يُنطق به في موضع الشكر ، وأن الشكر قد يوضع موضعَ الحمد.

وأما قوله(رَبِّ) ، فإن الرّب في كلام العرب منصرفٌ على معان :

١ – فالسيد المطاع فيها يدعَى ربًّا ، ومن ذلك قول لَبِيد بن ربيعة :

وأَهْلْكْنَ يومًا ربَّ كِنْدَة وابنَه... ورَبَّ مَعدٍّ ، بين خَبْـــــتٍ وعَرْعَرِ

يعني بربِّ كندة : سيِّد كندة. ومنه قول نابغة بني ذُبيان :

تَخُبُّ إلى النُّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ... فِدًى لكَ من رَبٍّ طَرِيفِي وَتَالِدِي

٢ – والرجل المصلح للشيء يُدعى ربًّا ، ومنه قول الفرزدق بن غالب :

كانُوا كَسَالِئَةٍ حَمْقَاءَ إذْ حَقَنَتْ... سِلاءَها فِي أدِيم غَيْرِ مَرْبُوبِ

يعني بذلك : في أديم غير مُصلَحٍ.

٣ – والمالك للشيء يدعى رَبَّه. وقد يتصرف أيضًا معنى " الربّ " في وجوه غير ذلك ، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة. فربّنا جلّ ثناؤه : السيد الذي لا شِبْه لهُ ، ولا مثل في سُؤدده ، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ، والمالك الذي له الخلق والأمر.

العالمين:

والعالم اسم لأصناف الأمم ، وكل صنف منها عالَمٌ ، وأهل كل قَرْن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان. فالإنس عالَم ، وكل أهل زمان منهم عالمُ ذلك الزمان. والجنُّ عالم ، وكذلك سائر أجناس الخلق ، كلّ جنس منها عالمُ زمانه.

قال الطبرى: – وحدثني محمد بن سنان القَزَّاز ، قال حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (رب العالمين) :

الجن والإنس. [١]

وعن ابن عباس : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، الحمد لله الذي له **الخلق كله : السموات والأرضون ومَن فيهنّ ، وما بينهن ، مما يُعلم ولا يعلم**

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)

"**ملك**"

قال الطبرى : عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ، يقول : **لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معهُ حكمًا كمِلْكِهم في الدنيا.** ثم قال : (لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) [سورة النبأ : ٣٨] ، وقال : (وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) [سورة طه : ١٠٨] . وقال : (وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى) (٣) [سورة الأنبياء : ٢٨].

"**يوم الدين**"

قال أبو جعفر : والدين في هذا الموضع ، بتأويل **الحساب والمجازاة بالأعمال** ، كما قال كعب بن جُعَيْل :

إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُم... ودِنَّاهُمُ مِثْلَ ما يُقْرِضُونَا

١ – الخبر – إسناد صحيح . محمد بن سنان القزاز ، شيخ الطبري : تكلموا فيه من أجل حديث واحد . والحق أنه لا بأس به ، كما قال الدارقطني . وهو مترجم في التهذيب ، وله ترجمة جيدة في تاريخ بغداد ٥ : ٣٤٣ – ٣٤٦ . أبو عاصم : هو النبيل ، الضحاك بن مخلد ، الحافظ الحجة . شبيب : هو ابن بشر البجلي ، ووقع في التهذيب ٤ : ٣٠٦ " الحلبي " وهو خطأ مطبعي ، صوابه في التاريخ الكبير للبخاري ٢ / ٢ / ٢٣٢ / ٢٣٣ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢ / ١

ومن ذلك قول الله جل ثناؤه(كَلا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) وقوله تعالى (فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) [سورة الواقعة : ٨٦] ، يعني غير مجزيِّين بأعمالكم ولا مُحاسَبين.

(إيَّاكَ نعبُدُ)

قال أبو جعفر : وتأويل قوله(إيَّاكَ نعبُدُ) : لك اللهم **نَخشعُ ونَذِلُّ ونستكينُ** ، إقرارًا لك يا رَبنا بالرُّبوبية لا لغيرك.لأنّ العبودية ، عندَ جميع العرب أصلُها الذلّة ، وأنها تسمي الطريقَ المذلَّلَ الذي قد وَطِئته الأقدام ، وذلّلته السابلة : معبَّدًا . ومن ذلك قولَ طَرَفَة بن العَبْد : **تُبَارِي عِتَاقًا نَاجياتٍ وأَتْبَعت... وَظِيفًا وظيفًا فوق مَوْرٍ مُعَبَّدِ** يعني بالمورْ : الطريق. وبالمعبَّد : المذلَّل الموطوء.

(وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

قال أبو جعفر : ومعنى قوله : (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) : وإياك رَبنا نستعين على عبادتنا إيّاك وطاعتنا لك وفي أمورنا كلها – لا أحدًا سواك ، **بمعنى مسألتهم إياه المعونةَ على العبادة ،**

الكاف من " إياكَ " هي كنايةَ اسم المخاطَب التي كانت تكون كافًا وحدها متصلةً بالفعل إذا كانتْ بعد الفعل ، ثم كان حظُّها أن تعادَ مع كلّ فعل اتصلتْ به ، فيقال : " اللهم إنا نعبدكَ ونستعينكَ ونحمدكَ ونشكرك " ، وكان ذلك أفصحَ في كلام العرب من أن يقال : " اللهم إنا نعبدك ونستعين ونحمد " – كان كذلك ، إذا قدِّمت كنايةُ اسم المخاطب قبل الفعل موصولةً بـ " إيّا " ، كان الأفصح إعادَتها مع كل فعل. كما كان الفصيحُ من الكلام إعادَتها مع كل فعل ، إذا كانت بعد الفعل متصلةً به ، وإن كان تركُ إعادتها جائزًا.

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

قال أبو جعفر : ومعنى قوله : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ، في هذا الموضع عندنا : **وَفِّقْنا للثبات عليه ، و ألهمنا الطريق الهادي ووفِّقنا لما وفَّقت له مَن أنعمتَ عليه من أنبيائك وأهل طاعتك ، من السبيل والمنهاج.**

والعربُ تقول : هديتُ فلانًا الطريقَ ، وهَديتُه للطريق ، وهديتُه إلى الطريق ، إذا أرشدتَه إليه وسدَّدته له. وبكل ذلك جاء القرآن ، قال الله جلّ ثناؤه : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا) [سورة الأعراف : ٤٣] ، وقال في موضع آخـر :

(اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [سورة النحل : ١٢١]

(الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

قال أبو جعفر : أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن " الصراط المستقيم " ، **هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه.** وكذلك ذلك في لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخَطَفي :

أميرُ المؤمنين عَلَى صِرَاطٍ... إذا اعوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ

يريد على طريق الحق.

يقول ابن جرير الطبرى : " والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي ، أعني : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ، أن يكونا معنيًّا به : وَفّقنا للثبات على ما ارتضيتَه ووَفّقتَ له مَنْ أنعمتَ عليه من عبادِك ، من قولٍ وعملٍ ، وذلك هو الصِّراط المستقيم. لأن من وُفّق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيِّين والصديقين والشهداء ، فقد وُفّق **للإسلام** ، وتصديقِ **الرسلِ** ، والتمسكِ **بالكتاب** ، والعملِ بما أمر الله به ، والانزجار عمّا زَجره عنه ، واتّباع منهج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وكلِّ عبدٍ لله صالحٍ ، وكل ذلك من الصراط المستقيم."

(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)

وقوله(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ، إبـــــانةٌ عن الصراط المستقيم ، أيُّ الصراط هو ؟ إذْ كان كلّ طريق من طرُق الحق صراطًا مستقيمًا. فقيل لمحمد – صلى الله عليه وسلم – : قُلْ يا محمد : اهدنا يا ربنا الصـــراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، بطاعتك وعبادتك ، من مَلائكتك وأنبيائـــــك والصديقين والشهداء والصالحين. وذلك نظير ما قال ربنا جلّ ثناؤه في تنزيله : (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) [سورة النساء : ٦٦ – ٦٩]. قال أبو جعفر : فالذي أمِر محمدٌ صلى الله عليه وسلم وأمّتُه أن يسألوا ربَّهم من الهداية للطريق المستقيم ، هي الهداية للطريق الذي وَصف الله جلّ ثناؤه صفتَه. وذلك الطريق ، هو طريق الذي وَصفهم الله بما وصفهم به في تنزيله ، ووعد من سَلكه فاستقام فيه طائعًا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، أن يورده مواردهم ، والله لا يخلف الميعاد.

وبنحو ما قلنا في ذلك رُوِي الخبر عن ابن عباس وغيره.

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) .

قال أبو جعفر : والقرَأةُ مجمعةٌ على قراءة " غير " بجر الراء منها.

والخفضُ يأتيها من وجهين :

<u>أحدهما</u> : أن يكون " غير " صفة لِ " الذين " ونعتًا لهم فتخفضها. إذ كان " الذين " خفضًا ، وهي لهم نعتٌ وصفةٌ. وإنما جاز أن يكون " غير " نعتًا لِ " الذين " ، و " الذين " معرفة و " غير " نكرة ، لأن " الذين " صلتها ليست بالمعرفة المؤقتة كالأسماء التي هي أماراتٌ بين الناس ، مثل : زيد وعمرو ، وما أشبه ذلك ؛ وإنما هي كالنكرات المجهولات ، مثل :

الرجل والبعير ، وما أشبه ذلك. فلما كان " الذين " كذلك صفتُها ، وكانت " غير " مضـــافةً إلى مجهول من الأسماء ، نظيرَ " الذين " ، في أنه معرفة غير موقتة ، كما " الذين " معرفة غير مؤقتة – جاز من أجل ذلك أن يكون " غير المغضوب عليهم " نعتًا لِ " الذين أنعمت عليهم " كما يقال: " لا أجلس إلا إلى العالم غير الجاهل " ، يراد : لا أجلس إلا إلى مَن يعلم ، لا إلى مَن يجهل.

<u>والوجهُ الآخر</u> من وجهي الخفض فيها : أن يكون " الذين " بمعنى المعرفة المؤقتة. وإذا وُجِّه إلى ذلك ، كانت " غير " مخفوضةً بنية تكرير " الصراط " الذي خُفِض " الذين " عليها ، فكأنك قلت : صراطَ الذين أنعمـــت عليهم ، صراطَ غير المغضوب عليهم.

وهذان التأويلان في " غير المغضوب عليهم " ، وإن اختلفا باختلاف مُعرِبَيْهما ، فإنهما يتقارب معناهما. من أجل أنَّ من أنعم الله عليه فهداه لدينـــه الحق ، فقد سلم من غضب رَبه ونجا من الضلال في دينه. فأمّا إذا وجهنا " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " إلى أنها من نَعت ، " الذين أنعمت عليهم " . فلا حاجة بسامعه إلى الاستدلال ، إذْ كان الصريحُ من معناه قد أغنى عن الدليل.– إن شئتَ – ، وإن شئت فبتأويلِ تكرار " صراط " . كلٌّ ذلك صوابٌ حَسنٌ.

"**المغضوب عليهم**"

فإن قال لنا قائل : فمنْ هؤلاء المغضوبُ عليهم ، الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسألته أن لا يجعلنا منهم ؟

قيل : هم الذين وصفهم الله جَلّ ثناؤه في تنزيله فقال : (**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**) [سورة المائدة : ٦٠] . فأعلمنا جلّ ذكره ثَمَّة ، ما أحَلَّ بهم من عقوبته بمعصيتهم

إياه. ثم علمنا ، منّةً منه علينا ، وجه السبيل إلى النجاة من أن يَحِلَّ بنا مثل الذي حَلّ بهم من المَثُلات ، ورأفة منه بنا .

فإن قيل : وما الدليلُ على أنهم أولاء الذين وصفَهم الله وذكر نبأهم في تنزيله على ما وصفت ؟

قيل :

١- حدثني أحمد بن الوليد الرملي ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن عديّ بن حاتم ، قال : قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : المغضوبُ عليهم ، اليهود [١].

٢- حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت عباد بن حُبيش يحدث ، عن عدي بن حاتم ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ المغضوبَ عليهم اليهود [٢] .

قال أبو جعفر : واختُلِف في صفة الغضب من الله جلّ ذكره :

فقال بعضهم : غضبُ الله على من غضب عليه من خلقه ، إحلالُ عقوبته بمن غَضبَ عليه ، إمّا في دنياه ، وإمّا في آخرته ، كما وصف به نفسه جلّ ذكره في كتابه فقال : (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) [سورة الزخرف : ٥٥] .

وكما قال : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ) [سورة المائدة : ٦٠].

---

١ – قال العلامة/ محمدأحمد شاكر هذا إسناد صحيح .

٢ – وهذا إسناد صحيح أيضًا . عباد بن حبيش ، بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة ولآخره شين معجمة ، الكوفي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وابن أبي حاتم ٣ / ١ / ٧٨ .

وقال بعضهم : غضب الله على من غضب عليه من عباده ، ذم منه لهم ولأفعالهم ، وشتم لهم منه بالقول.

" **و لا الضالين** "

لا وَجه لقوله : " ولا الضالين " ، إلا العطف على " غير المغضوب عليهم " .

فتأويلُ الكلام إذًا "اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، لا المغضوب عليهم ولا الضالين."

فإن قال لنا قائل : ومَن هؤلاء الضَّالُّون الذين أمرنا اللهُ بالاستعاذة بالله أن يَسْلُكَ بنا سبيلهم ، أو نَضِلَّ ضلالهم ؟

قيل : هم الذين وصَفهم الله في تنزيله فقال : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَـــابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [سورة المائدة : ٧٧].

فإن قال : وما برهانك على أنهم أولاء ؟

قيل :

١ – حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشَّعبي ، عن عدي بن أبي حاتم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ولا الضالين " قال : النصارى . [١]

٢ – حدثنا محمد بن المثنى ، أنبأنا محمد بن جعفر ، أنبأنا شعبة ، عن سِمَاك ، قال : سمعت عبّاد بن حُبيش يحدث ، عن عدي بن حاتم ، قال : قالَ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الضَّالين : النَّصارى " .

١ – هذه الأحاديث والأخبار والآثار ، في تفسير (الضالين) ، سبقت أوائلها في تفسير (المغضوب عليهم)، مع تخريجها ، ، مع شيء من التقديم والتأخير .

٣ – عن الضحاك ، عن ابن عباس : " ولا الضالين " قال : وَغير طريقِ النَّصارى الذين أضلَّهم الله بِفِرْيَتهمْ عليه.

قال : يقول : فألهِمنا دينك الحق ، وهو لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، حتى لا تغضَبَ علينا كما غضبتَ على اليهود ، ولا تضلَّنا كما أضللتَ النصارى فتعذّبنا بما تعذِّبهم به. يقول امنعْنا من ذلك برفْقِك ورَحمتك وقدرتك.

قال أبو جعفر : فكلّ حائدٍ عن قَصْد السبيل ، وسالكٍ غيرَ المنهج القويم ، فضَالٌّ عند العرب ، لإضلاله وَجهَ الطريق. فلذلك سمى الله جل ذكره النصارَى ضُلالا لخطئهم في الحقِّ مَنهجَ السبيل ، وأخذهم من الدِّين في غير الطريق المستقيم.

فإن قال قائل : أوَ ليس ذلك أيضًا من صفة اليهود ؟ قيل : بلى!

فإن قال : كيف خَصّ النصارَى بهذه الصفة ، وَخصّ اليهودَ بما وصفَهم به من أنهم مغضوب عليهم ؟

قيل : كلا الفريقين ضُلال مغضوبٌ عليهم ، غيرَ أن الله جلّ ثناؤه وَسم كل فريق منهم من صِفَته لعباده بما يعرفونه به ، إذا ذكرهُ لهم أو أخبرهم عنه. ولم يسمِّ واحدًا من الفريقين إلا بما هو له صفةٌ على حقيقته، وإن كان له من صفاتِ الذمّ زياداتٌ عليه.

المطلب الثانى: بلاغة ألفاظها ، و أسباب وضع الألفاظ فى مواضعها.

قال ابن جرير الطبرى :

فإن قال لنا قائل : **وما وجه إدخال الألف واللام في الحمد ؟ وهلا قيل : حمدًا لله رب العالمين ؟**

قيل : إن لدخول الألف واللام في الحمد ، معنى لا يؤديه قول القائل " حَمْدًا" ، بإسقاط الألف واللام. وذلك أن دخولهما في الحمد مُنْبِئٌ عن أن معناه: جميعُ المحامد والشكرُ الكامل لله. ولو أسقطتا منه لما دَلّ إلا على أنّ حَمْدَ قائلِ ذلك لله ، دون المحامد كلها.

لماذا قدم "الله الرحمن" على "الرحيم" ؟

لله جلَّ ذكره أسماءٌ قد حرَّم على خلقه أن يتسمَّوا بها ، خَصَّ بها نفسه دونهم ، وذلك مثلُ " الله " و " الرحمن " و " الخالق " ؛ وأسماءٌ أباحَ لهم أن يُسمِّيَ بعضهم بعضًا بها ، وذلك : كالرحيم والسميع والبصير والكريم، وما أشبه ذلك من الأسماء – كان الواجب أن تقدَّم أسماؤه التي هي له خاصة دون جميع خلقه ، ليعرف السامعُ ذلك مَنْ تَوجَّه إليه الحمد والتمجيدُ، ثم يُتبع ذلك بأسمائه التي قد تسمى بها غيره ، بعد علم المخاطب أو السامع من توجَّه إليه ما يتلو ذلك من المعاني. [١].

لماذا قال : "الحمدلله " ولم يقل : " الشكر لله " ؟

لأن الشكر يكون على نعمة قدمت للشاكر وحده (نعمة خاصة) أما الحمد فيكون على جميع نعم المنعم ســـــواء أوصلت للحامد أم وصلت لغيره ، فالحمد من هذه الجهة أعم ، و أشمل من الشكر . [٢]

---

١ – تفسير الطبرى ج ١ ص ١٣١ .

٢ – تفسير الطبرى ، التعبير القرآنى للدكتور فاضل السمرائى.

المطلب الثالث: القراءات المتواترة الواردة فيها و توجيههـــا.

١ – أدغم أبو عمرو البصرى و يعقوب الحضرمى ميم " الرحيم " فى ميم "ملك" بالخلف عنهما.

وجه الإدغام التخفيف و السرعة فى النطق ، و وجه الفك إيضاح حركة الحرف .

٢ – اختلفوا في (مالِك يوم الدين) فقرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف بالألف مداً. وقرأ الباقون بغير ألف قصراً.

وجه المد: أن المالك هو المتصرف فى الأعيان على الحقيقة ، ووجه القصر أن الملك هو التصرف بالأوامر و النواهى .

٣ – واختلفوا في: الصراط، وصراط. فرواه رويس حيث وقع وكيف أتى بالسين. واختلف عن قنبل فرواه عنه بالسين كذلك ابن مجاهد وهي رواية أحمد بن ثوبان عن قنبل ورواية الحلواني عن القواس. ورواه عنه ابن شنبوذ، وكذلك سائر الرواة عن قنبل وبذلك قرأ الباقون ، إلا حمزة فروى عنه خلف بإشمام الصاد الزاي في جميع القرآن. واختلف عن خلاد في إشمام الأول فقط أو حرفي الفاتحة خاصة أو المعروف باللام في جميع القرآن أو لا إشمام في الحرف الأول حسب ما في التيسير والشاطبية .

وجه السين أنه الأصل ، و وجه الصاد مجاورة الطاء فتكون مثلها فى صفاتها ، و وجه الإشمام الإتيان بحرف من مخرج السين مع المماثلة فى صفات الطاء .

٣ – واختلفوا في ضم الهاء وكسرها فى "عليهم "وقرأ يعقوب ذلك بضم الهاء، و وافقه حمزة والباقون بالكسر.

وجه الضم أنه الأصل ، و وجه الكسر مجاورة الياء.

٤ – واختلفوا في **ميم** "عليهم "فضم الميم ووصلها بواو في اللفظ وصلا ابن كثير وأبو جعفر واختلف عن قالون **و الباقون بالإسكان.**

وجه الصلة أنه الأصل و إشارة للجمع ، و وجه الإسكان الراحة .

٥ – " **و لا الضالين** " **وقف يعقوب بالخلف عنه بهاء السكت ، ومثلها** " **العالمين** "

وجه السكت الراحة . [١]

١ – قلائد الفكر فى توجيه القراءات الأربعة عشر ، و المهذب فى القراءات العشر و توجيهها

المطلب الرابع : المنـــــــاسبة بين آياتــها .

في هذه السورة كليات العقيدة الإسلامية ، وكليات التصور الإسلامي، وكليات المشاعر والتوجيهات .

والبدء باسم الله هو الأدب الذي أوحى الله لنبيه في أول ما نزل من القرآن باتفاق , وهو قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك ...).. وهو الذي يتفق مع قاعدة التصور الإسلامي الكبرى من أن الله (هو الأول والآخر والظاهر والباطن).. فهو – سبحانه – الواجد الحق الذي يستمد منه كل موجود وجوده ، ويبدأ منه كل مبدوء بدأه . فباسمه إذن يكون كل ابتداء . وباسمه إذن تكون كل حركة وكل اتجاه .

ووصفه – سبحانه – في البدء بالرحمن الرحيم ، يستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها .. وإذا كان البدء باسم الله وما ينطوي عليه من توحيد الله وأدب معه يمثل الكلية الأولى في التصور الإسلامي . . فإن استغراق معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها في صفتي الرحمن الرحيم يمثل الكلية الثانية في هذا التصور ، ويقرر حقيقة العلاقة بين الله والعباد .

وعقب البدء باسم الله الرحمن الرحيم يجيء التوجه إلى الله بالحمد ووصفه بالربوبية المطلقة للعالمين:(الحمد لله رب العالمين). .

والحمد لله هو الشعور الذي يفيض به قلب المؤمن بمجرد ذكره لله – أما شطر الآية الأخير: (رب العالمين) فهو يمثل قاعدة التصور الإسلامي، فالربوبية المطلقة الشاملة هي إحدى كليات العقيدة الإسلامية . . والرب هو المالك المتصرف.

(الرحمن الرحيم). . هذه الصفة التي تستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها تتكرر هنا في صلب السورة ، في آية مستقلة ، لتؤكد السمة البارزة في تلك الربوبية الشاملة ; ولتثبت قوائم الصلة الدائمة بين

الرب ومربوبيه . وبين الخالق ومخلوقاته . . إنها صلة الرحمة والرعاية التي تستجيش الحمد والثناء . إنها الصلة التي تقوم على الطمأنينة وتنبض بالمودة ، فالحمد هو الاستجابة الفطرية للرحمة الندية .

(مالك يوم الدين). . وهذه تمثل الكلية الضخمة العميقة التأثير في الحياة البشرية كلها كلية الاعتقاد بالآخرة . . والملك أقصى درجات الاستيلاء والسيطرة . ويوم الدين هو يوم الجزاء في الآخرة . . وكثيرا ما اعتقد الناس بألوهية الله ، وخلقه للكون أول مرة ; ولكنهم مع هذا لم يعتقدوا بيوم الجزاء . والاعتقاد بيوم الدين كلية من كليات العقيدة الإسلامية ذات قيمة في تعليق أنظار البشر وقلوبهم بعالم آخر بعد عالم الأرض ؛ فلا تستبد بهم ضرورات الأرض . وعندئذ يملكون الاستعلاء على هذه الضرورات .

(إياك نعبد وإياك نستعين). . وهذه هي الكلية الاعتقادية التي تنشأ عن الكليات السابقة في السورة . فلا عبادة إلا لله ، ولا استعانة إلا بالله .

اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

وبعد تقرير تلك الكليات الأساسية في التصور الإسلامي ؛ وتقرير الاتجاه إلى الله وحده بالعبادة والاستعانة . . يبدأ في التطبيق العملي لها بالتوجه إلى الله بالدعاء على صورة كلية تناسب جو السورة وطبيعتها:

(اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم،غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

المطلب الخامس : شبهـــــات وردود .

شبهات وردود

١ – قوله : " ولا الضالين " ، وإضافته الضَّلال إليهم دون إضافة إضلالهم إلى نفسه ، وتركه وصفهم بأنهم المضلَّلون ، كالذي وَصف به اليهود أنهم المغضوبُ عليهم – دلالةً على صحة ما قاله إخوانُه من جهلة القدرية ، جهلا منه بسَعَة كلام العرب وتصاريف وُجوهه.ولو كان الأمر على ما ظَنّه ، لوجب أن يكونَ شأنُ كلِّ موصوفٍ بصفةٍ أو مضافٍ إليه فعلٌ ، لا يجوزُ أن يكون فيه سببٌ لغيره ، وأنْ يكون كلُّ ما كان فيه من ذلك لغيره سببٌ ، فالحقُّ فيه أن يكون مضافًا إلى مُسبِّبه ، ولو وَجب ذلك ، لوجبَ أن يكون خطأ قولُ القائل : " تحركت الشجرةُ " ، إذْ حرَّكتها الرياح ؛ و " اضطربت الأرض " ، إذْ حرَّكتها الزلزلة ، وما أشبهَ ذلك من الكلام الذي يطولُ بإحصائه الكتاب.

وفي قول الله جلّ ثناؤه : (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ) [سورة يونس : – بإضافته الجريَ إلى الفلك ، وإن كان جريها بإجراء غيرِها إيَّاها – ما دلّ على خطأ التأويل الذي تأوله من وصفنا قوله في قوله : " ولا الضالين " ، وادّعائه أنّ في نسبة الله جلّ ثناؤه الضلالةَ إلى من نَسبها إليه من النصارى ، تصحيحًا لما ادَّعى المنكرون : أن يكون لله جلّ ثناؤه في أفعال خلقه سببٌ من أجله وُجدت أفعالهم ، مع إبانة الله عزّ ذكره نصًّا في آيٍ كثيرة من تنزيله ، أنه المضلُّ الهادي ، فمن ذلك قوله جل ثناؤه : **(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)** [سورة الجاثية : ٢٣]. فأنبأ جلّ ذكره أنه المضلّ الهادي دون غيره.

ولكنّ القرآن نزلَ بلسان العرب ، على ما قدَّمنا البيان عنه في أول الكتاب ، ومن شأن العرب إضافة الفعل إلى من وُجد منه – وإن كان مسبِّبُه غيرَ الذي وُجِد منه – أحيانًا ، وأحيانًا إلى مسبِّبه ، وإن كان الذي وجد منه الفعل غيرُه. فكيف بالفعل الذي يكتسبه العبد كسبًا ، ويُوجِده الله جلّ ثناؤه عَيْنًـــــا

مُنْشَأَةً ؟ بل ذلك أحرى أن يُضاف إلى مكتسبِه ؛ كسبًا له ، بالقوة منه عليه ، والاختيار منه له – وَإلى الله جلّ ثناؤه ، بإيجاد عينِه وإنشائها تدبيرًا. (مسألة يَسأل عنها أهل الإلحاد الطَّاعنون في القرآن)

٢ – ما الوجه – إذ كان الأمر على ما وصفت – في إطالة الكلام بمثل سورة أم القرآن بسبع آيات ؟ وقد حوت معاني جميعها منها آيتان ، وذلك قوله : (مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين) ، إذْ كان لا شك أنّ من عَرف : مَلك يوم الدين ، فقد عَرَفه بأسمائه الحسنى وصفاته المُثْلى. وأنّ من كان لله مطيعًا ، فلا شك أنه لسبيل من أنعم الله عليه في دينه مُتَّبع ، وعن سبيل من غَضِب عليه وضَلَّ مُنْعَدِل. فما في زيادة الآيات الخمس الباقية ، من الحكمة التي لم تَحْوِها الآيتان اللتان ذكرنا ؟

قيل له : إنّ الله تعالى ذكرُه جَمع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولأمته – بما أنزل إليه من كتابه – معانيَ لم يجمعْهُنّ بكتاب أنزله إلى نبيّ قبله ، ولا لأمَّة من الأمم قبلهم. وذلك أنّ كُلّ كتاب أنزله جلّ ذكرُه على نبيّ من أنبيائه قبله ، فإنما أنزل ببعض المعاني التي يحوي جميعَها كتابُه الذي أنزله إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. كالتَّوراة التي هي مواعظ وتفصيل ، والزَّبُور الذي هو تحميد وتمجيد ، والإنجيل الذي هو مواعظ وتذكير – لا مُعجزةَ في واحد منها تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق. والكتابُ

الذي أنزل على نبيِّنا محمد – صلى الله عليه وسلم – ، يحوي معاني ذلك كله ، ويزيد عليه كثيرًا من المعاني التي سائرُ الكتب غيرِه منها خالٍ. ومن أشرفِ تلك المعاني التي فَضَل بها كتابُنا سائرَ الكتب قبله ، نظْمُـــــه العجيبُ ورصْفُه الغريب وتأليفُه البديع ؛ الذي عجزتْ عن نظم مثْلِ أصغـــرِ سورة منه الخطباء ، وكلَّت عن وَصْف شكل بعضه البلغاء ، وتحيَّـــــرت في تأليفه الشُّعراء ، وتبلَّدت – قصورًا عن أن تأتيَ بمثله – لديه أفهامُ الفُهماء ، فلم يجدوا له إلا التسليمَ والإقرار بأنه من عند الواحد القهار. مع ما يحوي ، مَع ذلك ، من المعاني التي هي ترغيب وترهيب ، وأمرٌ وزجرٌ ، وقَصَص وجَدَل ومَثَل ، وما أشبهَ ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أنزل إلى الأرض من السماء.

فمهما يكن فيه من إطالة ، على نحو مَا في أمِّ القرآن ، فلِما وصفتُ قبلُ من أن الله جل ذكره أرادَ أن يجمعَ – برَصْفه العجيب ونظْمِه الغريب ، المنعدِلِ عن أوزان الأشعار ، وسجْع الكُهَّان وخطب الخطباء ورَسائل البلغاء، العاجز عن رَصْف مثله جميع الأنام ، وعن نظم نظيره كل العباد – الدلالةَ على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وبما فيه من تحميد وتمجيد وثناء عليه ، تنبيهَ العباد على عَظمته وسلطانه وقدرته وعِظم مَملكته ، ليذكرُوه بآلائه ، ويحمدوه على نعمائه ، فيستحقوا به منه المزيدَ ، ويستوجبوا عليه الثـــوابَ الجزيل ؛ وبما فيه من نَعْتِ من أنعم عليه بمعرفته ، وتفضَّل عليه بتوفيقه لطاعته ، تعريفَ عباده أن كل ما بهم من نعمة ، في دينهم ودنياهم ، فمنه ، ليصرفوا رَغبتهم إليه ، ويبتغوا حاجاتهم من عنده دُون ما سواهُ من الآلـــــهة والأنداد ، وبما فيه من ذكره ما أحلّ بمن عَصَاه منْ مَثُلاته ، وأنزل بمن خالف أمره من عقوباته – ترهيبَ

عباده عن ركوب معاصيه ، والتعرُّضِ لما لا قِبَل لهم به من سَخَطه ، فيسلكَ بهم في النكال والنَّقِمات سبيلَ من ركب ذلك من الهُلاك.

فذلك وَجْه إطالة البيان في سورة أم القرآن ، وفيما كان نظيرًا لها من سائر سور الفرقان. وذلك هو الحكمة البالغة والحجة الكاملة.

المصادر و المراجع

أولا :القرآن الكريم.

ثانيا: كتب التفسير

١-**الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان:** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

٢ – **الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان:** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق:الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى ، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م الناشر: مؤسسة الرسالة.

٣ – **تفسير ابن كثير** الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م الناشر : دار الخير بيروت تحقيق : لجنة من الأساتذة المختصين تقديم : الدكتور وهبة الزحيلى

٤ – : **جامع البيان في تأويل القرآن** المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ – ٣١٠ هـ] المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٥ – **روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم و السبع المثانى.** المؤلف : محمود الألوسى. الناشر : دار إحياء التراث العربى.

٦ – **مناهل العرفان فى علوم القرآن** المؤلف : الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى الناشر : دار الكتاب العربى الطبعة الأول١٤١٥هـ / ١٩٩٥م
٧ – **مفاتيح الغيب** المؤلف : الإمام فخر الدين الرازى الناشر : دار الغد العربى الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م

ثالثا : كتب القراءات و توجيهها :

١ – **النشر فى القراءات العشر** المؤلف : الإمام محمد بن محمد بن محمد بن الجزرى تحقيق : علي محمد الضباع شيخ عموم المقارئ: بالديار المصرية الناشر : دار الكتب العلمية بيروت– لبنان
٢–**تقريب النشر لابن الجزرى تحقيق : إبراهيم عطوة الناشر : دار الحديث ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م**
٣ – **المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها** المؤلف :د/ محمد محمد محمد سالم طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م
٤ – **قلائد الفكر فى توجيه القراءات العشر** المؤلف : ١ – قاسم أحمد الدجوى ٢ – محمد الصادق قمحاوى طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م
٥ – **البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة** المؤلف : الشيخ عبد الفتاح القاضى طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

٦ – **الوافى فى شرح الشاطبية** المؤلف : الشيخ عبد الفتاح القاضى طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

رابعا: كتب الأحاديث و علوم القرآن

١ – **الجامع الصحيح للإمام البخارى** المطبعة السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ

٢– **كتاب البسملة لأبى محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقى الشهير بأبى شامة** تحقيق د / عدنانا عبد الرازق الحموى الناشر: المجمع الثقافى – أبو ظبى الإمارات العربية المتحدة١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

٣ – **الإتقان فى علوم القرآن** تأليف : الإمام جلال الدين السيوطى طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م